ورقة عمل بعنوان

علاقة تيار الصحوة بـ" الدولة"

مقدمة للمؤتمر العلمي بجامعة القصيم

" الصحوة : دراسات في المفهوم والإشكالات" ٢٤-١٤٣٩/٧/٢٥هـ

إعداد / د. أيمن بن سعود العنقري

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

التعريف بتيار الصحوة:

تيار الصحوة الإسلامية،أوالتيار الصحوي:يسير في أمر الاعتقاد في الجملة على منهج الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب بحكم النشأة، إلا أنه إخواني الفكر والتنظيم، فهو يجمع بين تنظيم حسن البنا وحاكمية سيد قطب، وتوحيد محمد بن عبد الوهاب.

(فهومزيج من السلفية كمنهج اعتقادي والتنظيم البنائي،والحاكمية القطبية كمنهج حركي) برز خلال ثمانينيات القرن الماضي، حيث سيطر على كثير من الأنشطة الدعوية،والمؤسسات الخيرية والجامعات والمراكز العلمية، والمجلات ؛كمجلة البيان وغيرها.

نستطيع أن نقول بإيجاز عن هذا التيار / أنه جمع بين تصورات الأستاذين حسن البناوسيد قطب في الرؤية المنهجية للتنظيم ومفاهيم الحاكمية والجاهلية لأجل التغيير،مع العنايةبالجانب العقدي الذي جدّده الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

ويُعد الأُستاذ/محمد قطب الأخ لسيد قطب أحد دعائم هذا التيار الحركي الفكري، وتُعدّ كتبه كروافد فكرية رئيسةٍ له، ومن أبرز المعالم التي ذكرها في كتبه/ فكرة الحاكمية، مفهوم الجاهلية كما في كتابه المشهور : " جاهلية القرن العشرين"، واعتبار التضادّ بين الحاكمية والجاهلية مماثلاً للتضادِّ بين التوحيد والشرك هكذا بإطلاق دون تفصيل، وبالرُغم من ذلك فإنَّ منهج محمد قطب يميلُ إلى التمهُّل والتهدئة، ويُرِّكزُ على الجانب التربوي والعلمي، تجنُباً للصِدام والمواجهة مع الأنظمة قبل أن تنضج الصحوة وتكتسب قُدّرة على الصمود؛لذانجدهُ يُؤكددائماً على أهميةبناءالقاعدةالمؤقتة،وسياسات النفس الطويل في العمل الإسلامي[1].

والأساس الذي يرتكز عليه تيار الصحوة، وهو يمثل العلاقة بينه وبين التيارات الأخرى، والمنظمات والدولة،باعتباره الحق الذي لا محيد عنه هو عقد الولاء والبراء في التيار، ورموزه،وكتبه،وأساليبه وطرائقه في التعامل مع الآخرين،أوبعبارةقريبة:(الحزبية المقيتة). وهذا يتجلى في تقريرات الأستاذحسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين.

([1]) عن منهج محمد قطب، انظر للاستزادة/ الإصلاح السياسي في الفكر الإسلامي، المقاربات، القوى، الأولويات، الاستراتيجيات لمحمد أبورمّان ، ص١٩٧-٢٠٥. الشبكة العربية للأبحاث والنشر- بيروت – ٢٠١٠م.

فمن ذلك قوله: " ونُحبُّ أن يعلم قومنا إلى جانب هذا أنَّ هذه الدعوة "دعوة الإخوان المسلمين" لا يصلُح لها إلا من أحاطها من كل جوانبها ، ووهب لها ما تُكلِّفة إياه من نفسه، وماله، ووقته ، وصحته ، (قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (التوبة: ٢٤).

فهي دعوة لا تقبل الشركة،إذ أن طبيعتهاالوحدة، فمن استعدَّ لذلك فقد عاش بها وعاشت به ، ومن ضعف عن هذاالعبء فسيُحرم ثواب المجاهدين، ويكون مع المخلَّفين ، ويقعد مع القاعدين، ويستبدل الله لدعوته به قوماً آخرين (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ).(المائدة:٥٤)[١].

ويُقرّر حسن البنا أن دعوة الإخوان المسلمين هي القرآن الكريم ، فيقول: "فإن شاء القارئ أن يفهم دعوة الإخوان بشيء أوسع من كلمة (الإسلامية) فليمسك بمصحفه وليُجرِّد نفسه من الهوى والغاية ثمّ يتفهّم ما عليه القرآن فسيرى في ذلك دعوة الإخوان[٢].

وتحت عنوان: " دعوة الإخوان المسلمين، أو دعوة الإسلام في الرابع عشر الهجري"

قال حسن البنا: " اعتقدنا عقيدةً أثبت من الرواسي، وأعمق من الضمائر بأنّه ليس هُناك إلا فكرة واحدة ، هي التي تُنقذُ الدُنيا المعذَّبة ، وتُرشدُ الإنسانية الحائرة، وتهدي الناس سواءِ السبيل، .. هذه الفكرة هي (الإسلام الحنيف) ...، ففكرتنا لهذا إسلامية بحتة، على الإسلام ترتكز ، وله تُجاهد ، وفي سبيل إعلاء كلمته تعمل...،وسنجاهد في سبيل تحقيق فكرتنا ، وسُنكافح لها ما حيينا ، وسندعو الناس جميعاً إليها ، وسنبذل كل شيء في سبيلها، فنحيا بها كراماً ، أو نموت كراماً، وسيكون شعارنا الدائم : الله غايتنا ، والرسول زعيمنا ، والقرآن دستورنا ، والجهاد سبيلنا، والموت في

(١) رسالة: دعوتنا، ضمن مجموعة رسائل حسن البنا (١٢٥-١٢٦).

(٢) المصدر السابق (١٣٠).

سبيل الله أسمى أمانينا"[1]. **فإذا كان حسن البنا يرى أن دعوة الإخوان المسلمين هي الإسلام ، فمن الطبيعي أن يكون عليها عقد الولاء والبراء**، فحين ذكر حسن البنا واجبات الأخ العامل في (رسالة التعاليم) وما الذي يُلزمهُ تجاه بيعته لدعوة الإخوان ، قال: " أن تتخلّى عن صلتك بأية هيئة، أو جماعة لا يكون الاتصال بها في مصلحة فكرتك ، وخاصة إذا أمرت بذلك...، وأن تعمل على نشر دعوتك في كل مكان، وأن تحيط القيادة علماً بكل ظروفك، ولا تقدم على عمل يؤثر فيها تأثيراً جوهرياً إلا بإذنٍ، وأن تكون دائم الاتصال الروحي والعملي بها، وأن تعتبر نفسك دائماً جندياً في الثكنة تنتظر الأوامر" [2].

وعن طبيعةدعوة الإخوان المسلمين يقول حسن البنا – موجهاً نداءه لأفراد الجماعة: " أحب أن أقول لكم هُنا بكل وضوح: إن دعوتكم هذه أسمى دعوة عرفتها الإنسانية، وإنكم ورثة رسول الله وخلفاؤه على قرآن ربّه، وأمناؤه على شريعته، وعصابته التي وقفت كل شيء على إحياء الإسلام، ...، وإذا كنتم كذلك فدعوتكم أحق أن يأتيها الناس ولا تأتي هي أحداً، وتستغني عن غيرها، إذ هي جماعُ كل خير، وما عداها لا يسلم من النقص"[3].

فإذا تقرر هذا الأمر لدى هذه الجماعة وفروعها في العالم العربي، ومنها /تيار الصحوة في المملكة فإنه يمكننا أن نجلّي موقفه من الدولة، خاصّة إذا علمنا أن الدعوة إلى الخروج على الحكّام وإثارة الناس عليهم يعتبر أصلاً عندهم، بناءً على ما ذكر في تقريرات حسن البنا وسيد قطب.

ففي مقالٍ كتبه حسن البنا في مجلة النذير الإخوانية، العدد(٨)، السنة الأولى ٣٠ ربيع الأول ١٣٥٧هـ ، الموافق ٣٠ مايو ١٩٣٨م (٣-٥).

يقول موجهاً كالأمة لأفراد الجماعة: " أقول لكم – فاسمعوا – سننتقل من خير دعوة العامة فقط إلى خير دعوة الخاصة أيضاً ، ومن دعوة الكلام وحده إلى دعوة الكلام المصحوب بالنضال والأعمال،

([1]) رسالة الى الشباب عامة وإلى الطلبة خاصة ، ضمن مجموعة رسائل البنا (٤١٩-٤٢١).

([2]) رسالة التعاليم ، ضمن مجموعة رسائل البنا (٣٨٩).

([3]) مذكرات الدعوة والداعية ، ص٢٦٣.

سنتوجه بدعوتنا إلى المسؤولين من قادة البلد ، وزعمائه ووزرائه، وحكامه، وشيوخه ، ونوابه، وهيئاته ، وأحزابه، وسندعوهم إلى منهاجنا ، ونضع بين أيديهم برنامجنا، وسنطالبهم بأن يسيروا بهذا البلد المسلم، بل زعيم الأقطار الإسلامية في طريق الإسلام في جُرأةٍ لا تردُّد معها، وفي وضوحٍ لا لبس فيه، ومن غير مواربة ، أو مداراة ، فإن الوقت لا يتسع للمداورات، فإن أجابوا الدعوة وسلكوا السبيل إلى الغاية آزرناهم ، وإن لجئوا إلى المواربة والروغان وتستروا بالأعذار الواهية والحجج المردودة فنحن حربٌ على كل زعيم، أو رئيس حزب، أو هيئة لا تعمل على نصر الإسلام، سنعلنها خصومة لا سلم فيها، ولا هوادة معها، حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق وهو خير الفاتحين.

إلى أن قال: " أيها الإخوان أُعلن لكم هذه الخُطوة على صفحات جريتكم هذه، وأدعوكم إلى الجهاد العملي بعد الدعوة القولية، وللجهاد ثمن وفيه تضحيات ، وسيكون من نتائج جهادكم هذا في سبيل الله والإسلام أن يتعرض الموظفون منكم إلى السجون، وما هو أشق من السجون، ولتبلّون في أموالكم وأنفسكم ، فمن كان معنا في هذه الخطوة فلِيجتهد ولِيستعد لها ،ومن قعدت به ظروفه، أو صعبت عليه تكاليف الجهاد .. فلِيبتعد عن الصّف قليلاً، ولِيدع كتيبة الله تسير، ثم فليلقنا بعد ذلك في ميدان النصر إن شاء الله ، ولِينصّرن الله من ينصره، ولا أقول لكم إلا كما قال أبي من قبل (فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"(إبراهيم :٣٦).

أقول: ويتجلّى ذلك بقوة لدى الأستاذ سيد قطب حين يقول: " إنه ليس على وجه الأرض دولة مسلمة، ولا مجتمع مسلم قاعدة التعامل فيه هي شريعة الله والفقه الإسلامي"(١).

بل أنه كفّر المجتمعات المسلمة بكل صراحة فقال:" نحن اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام، أو أظلم ، كل ما حولنا جاهلية، ...، تصورات الناس وعقائدهم ،عاداتهم وتقاليدهم، موارد ثقافتهم،فنونهم وآدابهم، شرائعهم وقوانينهم حتى الكثير مما نحسبه ثقافة إسلامية،ومراجع إسلامية،وفلسفةًإسلامية، وتفكيراً إسلامياً...، هو كذلك من صنع هذه الجاهلية"(٢).

---

(١) في ظلال القرآن (٤/٢١٢٢).

(٢) معالم في الطريق (ص٢١).

وعن المجتمع الجاهلي يقول: "إن المجتمع الجاهلي هو كلّ مسلم غير المجتمع المسلم، وإذا أردنا التحديد الموضوعي قلنا:إنه هو كل مجتمعٍ لا يخلص عبوديته لله وحده متمثلة هذه العبودية في التصّور الاعتقادي وفي الشعائر التعبدية، وفي الشرائع القانونية، وبهذا التعريف الموضوعي تدخل في إطار (المجتمع الجاهلي)جميع المجتمعات القائمة اليوم في الأرض فعلاً ،تدخلُ فيه المجتمعات الشيوعية...، أولاً بإلحادها في الله..، وتدخلً فيه المجتمعات الوثنية- وهي ما تزال قائمة في الهند ، واليابان، وأفريقية- ، تدخلُ فيه أولاً بتصورها الاعتقادي القائم على تأليه غير الله معه أو من دونه...، وتدخلُ فيه المجتمعات اليهودية والنصرانية في أرجاء الأرض جميعاً...، وأخيراً يدخل في إطار المجتمع الجاهلي تلك المجتمعات التي تزعُم أنها مسلمة، وهذه المجتمعات لا تدخل في هذا الإطار؛ لأنها تعتقد بألوهية أحدٍ غير الله، ولا لأنها تقدم الشعائر التعبدية لغير الله أيضاً، ولكنّها تدخلً في هذا الإطار، لأنّها لا تدين بالعبودية لله وحده في نظام حياتها ، فهي — وإن لم تعتقد بألوهية أحدٍ إلا الله — تُعطي أخصّ خصائص الألوهية لغير الله فتدين بحاكمية الله، فتتلقى من هذه الحاكمية نظامها، وشرائعها، وقيمها وموازينها،وعاداتها وتقاليدها وكل مقومات حياتها تقريباً"(١).

ويؤكد على هذا المعنى قائلاً كما في (ص١٧٣) من معالم في الطريق : " والمسألة في حقيقتها هي مسألة كفر وإيمان مسألة شرك وتوحيد، مسألة جاهلية وإسلام، وهذا ما ينبغي أن يكون واضحاً...، إن الناس ليسوا مسلمين — كما يدّعون — وهم يحيون حياة الجاهلية ، وإذا كان فيهم من يحب أن يخدع نفسه، أو يخدع الآخرين فيعتقد أن الإسلام يمكن أن يستقيم مع هذه الجاهلية فله ذلك، ولكن انخداعه أو خِداعه لا يُغيّر من حقيقة الواقع شيئاً .. ليس هذا إسلاماً ، وليس هؤلاء مسلمين والدعوة اليوم إنما تقوم لترد هؤلاء الجاهلين إلى الإسلام ولتجعل منهم مسلمين من جديد" (٢).

ويقول أيضاً: "إن هذا المجتمع الجاهلي الذي نعيش فيه ليس هو المجتمع المسلم"(٣).

---

(١) المصدر السابق (٩٨-١٠١).

(٢) معالم في الطريق (ص١٧٣).

(٣) في ظلال القرآن (٤/٢٠٠٩).

ويؤكد على ذلك قائلاً: " إن المسلمين الآن، لا يُجاهِدُون ، ذلك أن المسلمين اليوم لا يوجدون... إن قضية وجود الإسلام ووجود المسلمين هي التي تحتاج اليوم إلى علاج"[١].

أقول إذا كان هذا هو كلام سيد قطب (وهو من منظري تيار الصحوة الكبار، ومُعَظَّم لديهم، ويُحْتَفى بكتبه لديهم" بل ويستميتون في الدفاع عن أخطائه ومحاولة تبريرها فلا غرابة أن يكون موقف تيار الصحوة من الدولة قائماً على ما يلي:

١- التهوين من مسألة السمع والطاعة للحاكم المسلم في غير معصية الله، وعدم طرحهاالأتباعهم كما عليه تقريرات أئمة أهل السنة في ذلك مع أن النصوص في السنة كثيرة في الأمر بذلك، وأن في أعناقنا بيعة لولي الأمر، وهذا أصل من أصول العقيدة السلفية، قل أن يخلو كتاب فيها من تقريره وشرحه وبيانه، إذا بالسمع والطاعة لهم تنتظم مصالح الدين والدنيا معاً، وبالافتيات عليهم قولاً أو فعلاً فساد الدين والدنيا.

فمن ذلك/ ما جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصيةٍ فلا سمع ولا طاعة".

وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " من خلع يداً من طاعة الله لقى الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعةً مات ميتة جاهلية".

٢-إثارة الناس على ولي الأمر؛لأجل وجود المظالم والمنكرات في المحاضرات العامة، ومنابر الجمعة، والآن عبر ظهور ما يسمى بوسائل التواصل الاجتماعي(التويتر،الفيسبوك...).مع أنّ السنة جاءت آمرةً بالصبر على جور الحاكم وعدم الخروج عليه قولاً أوفعلاً مع بذل النصيحة بالأسلوب الشرعي الذي دلّت عليه نصوص السنّة النبوية المطهرة.

(١) المصدر السابق (١٦٣٤/٣).

ففي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج عن السلطان شبراً مات ميتة جاهلية".

وله أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " عليك السمع والطاعة في عُسرك ويُسرك ومنشطك ومكرهك وأثرةٍ عليك".

والطريقة المتبعة عند السلف : النصيحة فيما بينهم وبين السلطان، والكتابة إليه، أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يُوجَّه إلى الخير، أما إنكار المنكر بدون ذكر الفاعل فُينكر الزنا، وينكر الخمر، وينكر الربا من دون ذكر من فعله، فذلك واجب؛ لعموم الأدلة على ذلك، كقوله عليه الصلاة والسلام: "من رأى منكم منكراً فليُنكره بيده فإلم يستطع فبلسانه،فإلم يستطع فبقلبه .. الحديث.

والدليل على أنّ الأصل في نصيحة الحاكم أن تكون فيمابينه وبين الناصح : حديث أسامة بن زيد – رضي الله عنه – قال: قيل له: ألا تدخل على عثمان فتكلمه؟ فقال: أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم؟! والله لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه" رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم.

وقصد أسامة في قوله " أفتتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه" يعني المجاهرة بالإنكار على الأمراء في الملأ كما ذكر ذلك النووي.

٣-التهوين من مسالة الخروج على الحاكم الظالم أو الفاسق ، واعتبار ذلك من مسائل الخلاف، وعدم تبديع وتضليل من يرى الجواز.

ومن الأمثلة على ذلك :

١-كتاب د. عبدالله الدميجي ، (الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة)، حديث ساق المسألة على أنها خلافية ، ثم رجّح عدم الجواز ، كما في (ص٥٠٢-٥٠٣)من كتابه ، وهذا باطل غير صحيح، فأهل السُنّة مجمعون على المنع من الخروج على الحاكم الظالم أوالفاسق.

قال أبوالحسن الأشعري في رسالته لأهل الثغر (ص٢٩٦-٢٩٧):"وأجمعوا على السمع والطاعة لأئمّة المسلمين،وعلى أنّ كلّ من ولي شيئاً من أمورهم عن رضى ورغبةٍ،وامتدت طاعته من برٍّ وفاجرٍ لايلزم الخروج عليه بالسيف،جار أوعدل".

ونقل الإمام أبوعثمان الصابوني إجماع أهل السنة على المنع من الخروج على الولاة وإن ظلموافي رسالته"عقيدة السلف أصحاب الحديث"ص٢٩٤ فقال :"ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كلّ إمامٍ مسلمٍ،برّاًكان أوفاجراً،...ولايرون الخروج عليهم بالسيف وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف".

وقال شيخ الإسلام ابن تيميةفي منهاج السنة (٤/٥٢٩):"استقرّ أمرأهل السنّة على ترك القتال في الفتنة؛للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وصاروايذكرون هذا في عقائدهم،ويأمرون بالصبر على جور الأئمّة،وترك قتالهم".

قلت:وهذا الكتاب (الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة)روّج له تيار الصحوة بقوة ؛ ليكون مرجعاً في باب الإمامة العظمى دون اعتبارٍ للأخطاء العقدية الموجودة فيه.

٢-كتاب د. سلمان العودة أسئلة الثورة (ص١٦)، وقد طبع بعد ثورات ما يسمى بالربيع العربي.

هذه معالم موجزة جداً عن علاقة تيار الصحوة في أوجّ قوته وسيطرته بالدولة .

أسأل الله أن يثبتنا على عقيدة ومنهج سلف الأمّة إلى أن نلقاه غيرمغيرين ولامبدلين .

وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.